



## حكاية سكندرية

في قصر صغير أبيض، وفي الطابق الثاني، قاعة طعام دبلوماسية ترى البحر من نافذة عريضة. السماء زرقاء صافية تحتها البحر بزرقة أعمق، ولا أثر للشارع وضججه يبدو من خلف الزجاج المحكم. الموج يتكسر في البعيد بقاع من الأبيض تُرْقش الزرقة لثوان صامتة ثم تذوب فيها. أنا في غداء تكريم دُفعة مدرسة الترجمة مع سبع فتيات، والمضيف شيخ فرنسي يتحدث العربية بلهجة أهل دمشق ويقول إنه بدوره مترجم وسيعمل في التو على ترجمة الرواية الأكثر رواجًا في الشرق الأوسط، وأخذ يثني على المدينة التي كانت في أحد أطوارها عاصمة للمذهب الأبيقوري الذي ينتمي إليه بالروح والجسد. لاحظت أن الفتيات، وبعضهن من بنات جلده يخطبهن بـ "يا خالتي"، فقلت لنفسني، أنا الرواقي بالسليقة، ما أطيب حضورهن ولو كسياح يحول بيني وبين ثرثرته الثقيلة. وجلست صامتًا أرقب التفاصيل والاستدارات وغرقت في خطط مستقبلية، حتى جاء الخادم بالطعام: أرز أبيض شاهق البياض وملوخية خضراء تفور بزبد فاتح فوق سطحها الداكن صنعها في غير إتقان طاه مستشرق من صفحتها برز رأس أرنب مسلوخ جوهرتا عينيه في محجريهما تتطلعان عبر النافذة إلى الضفاف البعيدة.

## زيارة أخرى إلى بُرج السراب

تقطنُ في الطابق الثاني عشر  
وتقطنُ هناك أيضًا  
أصابُها الحكمة المنسابة  
وشعرها الرمادي  
وأعوامها الستون.  
للبرج ستة مصاعد  
ثلاثة على يمين البهو  
ورخام الأرضية كسّ الفيل  
يشعّ رطوبةً



فيذوي ضوءً النهار عليه  
حتى تبتلع الظلالُ  
وقَعَ أقدامٍ تتسحبُ  
وثلاثة على اليسار.

بالمرصاد بؤابون  
يجعلُ من بين أيديهم سدًا  
ومن خلفهم سدًا  
وينسلُّ داخلًا  
بأعوامه الثمانية والعشرين  
كلّ مرة مصعد  
مختلف

في أي الجناحين لا يهم  
فالبسطنان في الطوابق تلتقيان  
وكلاهما يفود إلى المآل.

يرتقي صندوقُ الخشب والزجاج  
نفقَه الرأسي  
وما من ضوء في آخره سواها  
وكلما تقدم المصعد طابغًا  
غاص في طيات ظلام لحيم.

الرحلة تتكرر في عودٍ أبدي  
التسلل غيابٌ



والارتقاء

وهي الليل في استطالته.

لا يتذكر بابًا يفتح

ولا ستائر تُرعى أو تنسدل.

تُجلسه على مقعد صغير

وتفيضُ عزائم وتعاويز

تفتح كؤات في الظلام

فيتعدد

كأصفار تنقسم.

### مساحة خضراء

واقفان في شرفتها العالية

تُطلُّ على المتنزه. تقول:

لا طيورٌ تحلق في سماء هذه المدينة

لكنها فوق ذي الحدائق تجد مجالاً للتَّعَسِّي.

أشجارها الكثيفة تقوِّض كهرباء البنايات

فترفُّ أجنحتها في هواء طري

انظر!

نرى عصافير صفراء

ويمامًا يهدل، يحطُّ بجوار برك نائمة

تلتمع الشمسُ على أسطحها

وتنطفئ على أوراق اللوتس العريضة.



أقول:

مخطئُ أنتِ

فخارج حدود سماء الحديقة

جدآن ورخمت

تحلُّ فوق المدينة بأسرها

وفي أعالي شاهقة

لثقلت من التيارات المشحونة

والأزير المُمغنط للغونا.

انظري!

تحوُّم سوداء وهائلة

ولا جثة نافقة في الأفق

إلا المدينة نفسها.

لكنها طيور أيضًا يا عزيزتي

وإن أكلت الجيف.

### موهبة

الأغاني التي صغتها عبر السنين

من نثار كلمات حائرة

تطنّ في أذنيّ قبل النوم

كالعمل الرديء.

تلجّ

في هذيان الحمى



فترجح كفة غنائتها  
أمام كفة الحياة  
في ميزان الحرارة.

أغان مثقوبة  
لا شيء وراءها  
سوى طهو الكلمات  
في عجين لغوي  
يلتمس أحيانًا ضالة.

إيقاع ينفجر  
خلف كل كلمة  
لِيُبَيِّطَ فعلها  
كزرّ ينفّرُ عصب المعنى  
في سديم جهاز معطل  
فيزداد العطل كثافةً.

وكل إيقاع ينفجر عيدُ  
بأضحيات فوق محارقها  
ونساء يغرqn في نهر  
وفلاحين يقطعون صخرًا  
في محجر

تحت شمس تبت دفأها  
لأناس على الجهة الأخرى من اليوم



يحتفلون بعيد آخر.

وبعد كل انفجار

تهمد حزمة من العُصاب

وتنصرف الأسنان عن صريفها

ويسترخي الفكُّ على الفكِّ

فتسقط كلمة على الأرض

كُربةً مدماة

تفسح الطريق لانفجار التالية

بعد اختمارها.

جنناك بالهراء

أيها العالم يا حُبي!

الكاتب: ياسر عبد اللطيف